مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

البيئة الرقمية الجديدة :
تراجع التعبئة وتحدي التنشئة

أ.د صالح بن محمد الخثلان

مستشار أول في مركز الخليج للأبحاث

مركز الخليج للأبحاث

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع
منذ عام 2000م

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

الآراء الواردة في هذا المقال تعبر عن رأي الكاتب وحده، ولا تعكس بالضرورة سياسة أو توجه مركز الخليج للأبحاث

شهدت المنطقة خلال السنوات الأخيرة حروباً وصراعات كان يمكن أن توفر بيئة مناسبة للتنظيمات المتطرفة لاستقطاب الشباب وتجنيدهم. عدوان إسرائيل على غزة وما صاحبها من قتل وتدمير، بل وجرائم إبادة، والحرب في السودان وما ارتبط بها من تدخلات إقليمية وما أثارته من حملات تعبئة ومواقف غاضبة تجاه الأطراف المتورطة، واستمرار الصراع في اليمن وليبيا، ثم الحرب الأمريكية الإسرائيلية الإيرانية وتداعياتها.

في الثمانينات والتسعينات وفّرت الحروب والصراعات بيئات استفادت منها التنظيمات المتطرفة في تعبئة الاتباع وحشدهم، مستغلة ما خلّفته تلك الصراعات لدى الشباب من ألم وغضب وشعور بالعجز، وما ولّدته من رغبة في «فعل شيء» تجاه ما يحدث.

اليوم، ورغم استمرار الصراعات والأحداث المؤلمة في المنطقة، لم نشهد، وللّه الحمد، حالة التعبئة والتجنيد الواسعة التي عرفناها في زمن القاعدة ثم مع صعود تنظيم داعش، حين استطاعت التنظيمات المتطرفة استثمار تلك الظروف في حشد واستقطاب أعداد كبيرة من الشباب.

هذا لا يعني أن التطرف العنيف قد انتهى، فما زالت مظاهره قائمة في بيئات إقليمية أخرى. كما لا يمكن تجاهل أثر الجهود الكبيرة التي قامت بها الدول، على المستويين الوطني والجماعي، في تفكيك التنظيمات الإرهابية والحد من قدرتها على الوصول إلى الشباب. ولعل أفضل مثال على هذه الجهود هو التعاون بين المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف «اعتدال» ومنصة «تليجرام»؛ فمنذ بدء التعاون بينهما في فبراير ٢٠٢٢ وحتى نهاية يونيو ٢٠٢٦، أزيل أكثر من ٢٩٢ مليون مادة متطرفة، وأغلقت أكثر من ٢٠ ألف قناة، منها أكثر من ٣٤ مليون مادة و١,٢٧٥ قناة خلال النصف الأول من عام ٢٠٢٦ وحده.[1]

ولا شك أن هذه الجهود، وغيرها من الجهود الأمنية والفكرية، أسهمت بدرجة كبيرة في إضعاف التنظيمات المتطرفة والحد من قدرتها على نشر خطابها واستقطاب الشباب.

لكن ربما تكون هناك، إلى جانب الجهود المباشرة في مواجهة التطرف، عوامل أخرى أسهمت بصورة غير مباشرة في إضعاف قابلية الشباب للخطاب المتطرف. هذا يقود إلى سؤال يشغلني منذ سنوات: هل جعلت البيئة الرقمية الجديدة، بما أحدثته من تدفق هائل للمعلومات وتشظٍ في الاهتمامات والانتباه، استقطاب الشباب وتعبئتهم، وربما تنشئتهم (سنناقش هذا لاحقاً)، أكثر صعوبة؟

> **رغم استمرار الصراعات والأحداث المؤلمة في المنطقة لم نشهد وللّه الحمد عودة إلى حالة التعبئة والتجنيد**

1 المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف «اعتدال»، «اعتدال» و«تليجرام» يزيلان أكثر من ٣٤ مليون مادة متطرفة خلال النصف الأول من عام ٢٠٢٦م»، https://l1nq.com/swhatbj

لقد أحدثت الطفرة التقنية الهائلة خلال العقدين الماضيين تغيراً كبيراً في البيئة التي يعيش فيها الشباب، ولعل أبرز ملامح هذا التغير انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وتنوعها، وارتفاع معدلات استخدامها بين الشباب، وما صاحب ذلك من تدفق هائل ومستمر، على مدار الساعة، للمعلومات والأفكار والآراء والصور والتفسيرات المختلفة للأحداث[2]. ومن المحتمل أن تكون هذه البيئة قد أسهمت في جعل استجابة الشباب للخطاب المتطرف أكثر صعوبة.

فالشباب اليوم لا يتعرضون فقط لتدفق هائل ومتواصل من المعلومات، وإنما أيضاً لتفسيرات ووجهات نظر متعددة، بل ومتعارضة، حول القضية نفسها. وهذا يضعف أحد أهم آليات التنظيمات المتطرفة في التأثير والتجنيد، وهي تبسيط قضايا وأحداث في غاية التعقيد وتقديم تفسير مبسط لها على النحو التالي: هناك مشكلة، ولهذه المشكلة سبب واحد، وهناك جهة واحدة مسؤولة عنها، وللمشكلة حل واحد تقدمه الجماعة.

وبسبب كثافة المعلومات وتدفقها المستمر وسهولة الوصول إليها، وتعدد التفسيرات والآراء التي يتعرض لها الشباب، أصبح من الصعب أن يحتفظ هذا النمط من التبسيط بقدرته السابقة على الإقناع والاستحواذ على التفكير. ولا يقتصر الأمر على التدفق الهائل للمعلومات والأفكار والآراء والصور التي يتعرض لها الشباب على مدار الساعة، بل أتاحت لهم البيئة التقنية الجديدة أيضاً عالماً يكاد لا ينتهي من الاهتمامات: الألعاب الإلكترونية، وتطوير الذات، والاستماع للبودكاست التي تناقش كم متنوع من الموضوعات، والأفلام، والرياضة، والموسيقى، والستاند أب كوميدي، والسفر والسياحة، والتقنيات وأدوات الذكاء الاصطناعي، والمطاعم والمقاهي، ومتابعة المشاهير والمؤثرين.

وحول هذه الاهتمامات تتشكل مجتمعات تجمع الشباب حول اهتمام مشترك، وتخلق بينهم روابط وشعوراً بالانتماء، وتستحوذ على جانب كبير من وقتهم واهتمامهم.

هذا التنوع الكبير في الاهتمامات، وسهولة الانتقال بينها، خلق حالة يمكن وصفها بـ "تشظي الاهتمامات والانتباه»، وهي حالة تعيق التعبئة. فالتنظيم المتطرف لم يعد اليوم ينافس أفكاراً وتفسيرات أخرى للقضايا والأحداث

هل جعلت البيئة الرقمية الجديدة بما أحدثته من تدفق هائل للمعلومات وتشظٍ في الاهتمامات والانتباه استقطاب الشباب وتعبئتهم أكثر صعوبة؟

2 Donovan Vanderbilt, استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في المملكة العربية السعودية," Vision2030.ai, آخر تحديث ١٨ أبريل ٢٠٢٦، https://:vision2030.ai/encyclopedia/ar/social-media-usage-arabia-saudi/.

فحسب، بل ينافس أيضاً عدداً كبيراً من الاهتمامات والانتماءات على وقت الشاب وانتباهه. وحتى عندما تنجح قضية ما في إثارة غضبه وتعاطفه، فإن تعدد اهتماماته وتوزع انتباهه يحدان من قدرة التنظيم على الاستحواذ على اهتمامه وتوجيهه نحو قضية واحدة.

ويضاف إلى ذلك تغير طبيعة المحتوى نفسه؛ إذ أصبح جانب كبير مما يتعرض له الشباب عبر المنصات الرقمية يُقدَّم في مقاطع قصيرة لا تتجاوز دقائق، وأحياناً ثواني معدودة، يتبع بعضها بعضاً بصورة متسارعة. هذا النمط من استهلاك المعلومات والأفكار والآراء، وما يصاحبه من انتقال سريع من موضوع إلى آخر، يؤدي إلى تشتت الاهتمام، ويقلص المدة التي يحتفظ فيها موضوع واحد باهتمام الفرد، ويجعل اهتمامه أكثر تقلباً وأقل استقراراً حول قضية واحدة لفترة طويلة.

وهذا مهم لأن نجاح التنظيمات المتطرفة لا يتوقف على إثارة غضب الشاب أو تعاطفه مع قضية ما، وإنما يتطلب الاحتفاظ باهتمامه بها فترة طويلة، حتى تصبح قضية مركزية في حياته، ثم تحويل هذا الاهتمام إلى انتماء والتزام وتعبئة. وهنا يبرز أثر تشظي الاهتمامات والانتباه؛ فقد يتفاعل الشاب بقوة مع صور الحرب والقتل، ثم ينتقل بعد وقت قصير إلى متابعة مباراة لكرة القدم، أو محتوى عن السفر أو التقنية، ثم إلى أخبار المشاهير ومحتوى منصات التواصل، وغيرها من الاهتمامات التي تتنافس باستمرار على انتباهه.

هذا بالطبع لا يعني أن الغضب أو التعاطف غير حقيقي، وإنما يعني أن تدفق المعلومات والأفكار وتشظي الاهتمامات والانتباه قد يؤدي إلى سرعة تراجع هذا الغضب والتعاطف، ويحد من قدرة التنظيم على استثمارهما في بناء قناعة مستقرة، ثم تحويلها إلى انتماء والتزام وتعبئة.

في السابق وفي بيئة إعلامية واجتماعية محدودة، كان من الأسهل أن تستحوذ قضية واحدة على جانب كبير من اهتمام الفرد لفترة طويلة. أما اليوم، فإن القضية الواحدة تتنافس على انتباه الشباب مع عشرات القضايا والاهتمامات الأخرى.

هذا الأمر يقودنا إلى فرضية تستحق الدراسة والتفنيد: أن البيئة الرقمية التي أصبحت جزءاً أساسياً من الحياة اليومية لملايين الشباب في المنطقة، بما توفره من تدفق هائل ومستمر للمعلومات والأفكار والآراء، وما تحدثه من تشظٍ في الاهتمامات والانتباه، قد تكون أحد أسباب تراجع قدرة التنظيمات المتطرفة على استقطاب الشباب وتعبئتهم في منطقتنا.

نجاح التنظيمات المتطرفة لا يتوقف على إثارة غضب الشاب أو تعاطفه مع قضية ما وإنما يتطلب الاحتفاظ باهتمامه بها فترة طويلة

وقد تقدم دول الساحل الأفريقية حالة مقارنة تساعد في اختبار هذه الفرضية. فخلال السنوات الأخيرة، تصاعد نشاط الجماعات المتطرفة في مالي وبوركينا فاسو والنيجر، وأصبح الساحل أحد أبرز مراكز الإرهاب في العالم، مستحوذاً في عام ٢٠٢٤ على نحو نصف الوفيات الناتجة عن الإرهاب عالميًا. وتقود هذا النشاط بصورة رئيسة جماعة نصرة الإسلام والمسلمين المرتبطة بالقاعدة، بما يرتبط بها من جماعات وقوى محلية، إلى جانب تنظيم الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى.

وفي هذه الدول، لا تزال البيئة الرقمية أقل حضوراً في حياة قطاعات واسعة من السكان مقارنة بكثير من دول الشرق الأوسط، وهو ما قد يعني تعرضاً أقل لتدفق المعلومات وتعدد الأفكار والتفسيرات وتشظي الاهتمامات والانتباه. ومن ثم، تتيح المقارنة بين هذه البيئات والبيئات الأكثر انكشافاً رقمياً مجالاً لاختبار أثر البيئة الرقمية الجديدة في قدرة التنظيمات المتطرفة على جذب الشباب والتأثير فيهم وتعبئتهم.

ولا تثبت هذه الحالة الفرضية بالطبع، إذ تتداخل فيها عوامل أخرى مهمة، مثل ضعف الدولة والفقر والصراعات المسلحة والفراغ الأمني، لكنها تقدم حالة مقارنة جديرة بالدراسة، وقد تساعد في تقدير مدى ارتباط البيئة الرقمية بقابلية الشباب للاستقطاب والتعبئة من قبل التنظيمات المتطرفة.

لكن لهذه النتيجة المطمئنة وجهاً آخر يستحق الانتباه. فإذا صح أن البيئة الرقمية الجديدة، بما أحدثته من تدفق هائل للمعلومات والأفكار والآراء وتضاربها، وتشظٍ في الاهتمامات والانتباه، تعيق حملات التعبئة التي تقوم بها التنظيمات المتطرفة، فإن هذه البيئة قد تضعف أيضاً قدرة مؤسسات التنشئة التقليدية على التأثير في الشباب وبناء توجهاتهم وقناعاتهم وتعزيز قيم الانتماء والمواطنة لديهم.

وبعبارة أخرى، ما قد يجعل استحواذ التنظيم المتطرف على الشاب أكثر صعوبة، قد يجعل تنشئته وبناء انتمائه أكثر صعوبة أيضاً.

قبل الثورة الرقمية، كانت الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام والمؤسسات الحكومية هي مؤسسات التنشئة الوحيدة، حيث تسهم مجتمعة في تشكيل نظرة الشباب إلى أنفسهم ومجتمعهم ووطنهم، وفهمهم العالم من حولهم. أما اليوم، فيقضي الشاب ساعات طويلة في بيئة رقمية مفتوحة، يتعرض فيها باستمرار لمعلومات وأفكار وقيم وأنماط حياة

> **دول الساحل الأفريقية لا تزال البيئة الرقمية أقل حضوراً في حياة قطاعات واسعة من السكان مقارنة بكثير من دول الشرق الأوسط**

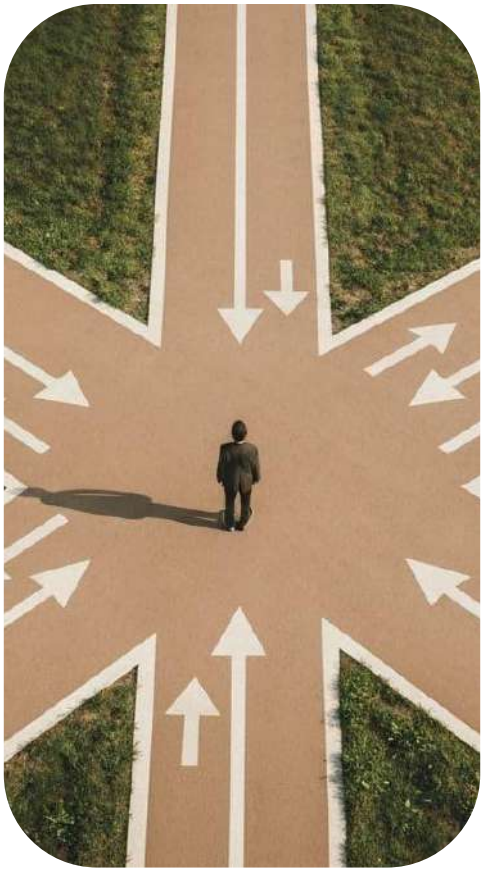

مختلفة، ويتنقل بين اهتمامات ومجموعات ومؤثرين ومجتمعات تتجاوز محيطه المباشر. ربما لا نبالغ إن قلنا أن هذه البيئة الرقيمة قد أصبحت اليوم هي مؤسسة التنشئة الأولى للشباب تشكل أفكارهم واهتماماتهم وتؤثر في انتماءاتهم.

وإذا صحت هذه الملاحظة، فقد تقود إلى استنتاج أوسع، وهو أن البيئة الرقمية الجديدة، وما يصاحبها من انغماس متواصل للشباب فيها، قد تجعل بناء أي انتماء عميق ومستقر أكثر صعوبة. فالانتماء لا يتشكل عادةً بسرعة، بل يحتاج إلى قدر من الاستمرار والتكرار، وإلى بناء ارتباط عاطفي وفكري يتعزز مع الوقت.

وفي البيئة الرقمية الحالية، يتوزع انتباه الشاب بين عدد كبير من الموضوعات والاهتمامات، كما تتعدد دوائر انتمائه ومصادر التأثير في تشكيل هويته؛ فبعض هذه الدوائر محلي، وبعضها عابر للحدود، وبعضها مؤقت يتغير بتغير اهتماماته. ولا تكمن الإشكالية في تعدد الانتماءات في حد ذاته، فهو أمر طبيعي عرفته المجتمعات تاريخياً، وإنما في أن هذا التعدد يجري اليوم في بيئة شديدة التدفق والتنافس، يتعرض فيها الفرد باستمرار لأفكار وقيم وتفسيرات متباينة، بل ومتعارضة أحياناً. وقد يجعل ذلك بناء هوية واضحة ومستقرة أكثر صعوبة.

وهنا تكمن المفارقة التي ينبغي أن تهم مؤسسات الدولة: فما قد يحول دون استحواذ التنظيم المتطرف على الشاب وتعبئته، ربما يعيق كذلك بناء هوية واضحة ومتوازنة، وترسيخ الانتماء. وإذا كانت التنظيمات المتطرفة تواجه صعوبة في نقل الشاب من الغضب والتعاطف إلى الانتماء والالتزام، فإن مؤسسات التنشئة قد تواجه هي الأخرى تحدياً أكبر في تشكيل هويته وتعزيز انتمائه الوطني في بيئة شديدة التنافس على انتباهه واهتمامه.

وإذا صح ذلك، فإننا أمام أثر مزدوج للبيئة الرقمية يستحق الانتباه والدراسة: فهي قد تعيق استقطاب الشباب وتعبئتهم من قبل التنظيمات المتطرفة، وهذا جانب إيجابي، لكنها قد تضعف في الوقت نفسه قدرة مؤسسات التنشئة على بناء الانتماء وتعزيزه.

فما قد يحول دون استحواذ التنظيم المتطرف على الشاب وتعبئته ربما يعيق كذلك بناء هوية واضحة ومتوازنة وترسيخ الانتماء

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567

Gulf Research Center Jeddah

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

ulf Research Center Foundation

venue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
:mail: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64

@Gulf_Research Gulfresearchcenter gulfresearchcenter gulfresearchcenter

www.grc.net

مركز الخليج للأبحاث